


2020

الأمن الروحي نموذج للتعاون جنوب جنوب بين المملكة المغربية ودول أفريقيا جنوب الصحراء

عبد الله استيتو
جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، a.stitou@uiz.ac.ma

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>

 Part of the [African History Commons](#), [African Languages and Societies Commons](#), [Social History Commons](#), and the [Sociology Commons](#)

Recommended Citation

استيتو، عبد الله (2020) "الأمن الروحي نموذج للتعاون جنوب جنوب بين المملكة المغربية ودول أفريقيا جنوب الصحراء," *Dirassat*: Vol. 22 : No. 24 , Article 5.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol22/iss24/5>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Dirassat by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, dr_ahmad@aarj.edu.jo.

الأمن الروحي نموذج للتعاون جنوب جنوب بين المملكة المغربية ودول أفريقيا جنوب الصحراء

د. عبد الله استيتو

كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير

تمهيد: يعتبر الأمن من أوكد الحقوق بالنسبة إلى الأفراد والمجتمعات في أي زمان وفي أي مكان. وهو نعمة من النعم العظيمة التي تُعَمَّر بها الأرض، ويتم بفضلها البناء والتشيد، وتبنى بها الأمم والحضارات، ويحصل بفعلها الاطمئنان والسكينة، وينتج عنها الاستقرار والارتياح؛ لكن غياب هذه النعمة يُحوّل حياة الناس إلى نقمة، ويتسبب في اضطراب أحوال الأفراد والشعوب، ويفضي إلى الأعطاب والمهالك وكثرة العيوب.

ونظرا إلى هذه الأهمية القصوى التي يحظى بها مفهوم الأمن، فإن النصوص المقدسة أعلت من شأنه، واهتمت بمضامينه، وسنت في ذلك سنا كونية تحت على العناية بأمن الناس، والاهتمام بحياتهم بعيدا عن التخويف والترجيع والترهيب¹.

وكانت هذه النصوص حجر الزاوية بالنسبة إلى المنظومة الحقوقية والقانونية التي راكمت عبر التاريخ مادة حية وخصبة في مجال الأمن والاستقرار البشريين؛ إذ لا تخلو حضارة من الحضارات الإنسانية من خلفيات قانونية تُكَبِّرُ في المجتمعات أمنها، وتدعوها إلى الحفاظ عليه، والدفاع عنه بأي ثمن؛ مثل ما جاءت به الثورة الفرنسية عام 1789م²، وما سطرته الهيئة الأممية عام 1948م عندما أصدرت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يوم 10 دجنبر من السنة ذاتها، والذي نص في مادته

1 - سورة قريش، الآيتان: 3 و4. جاء فيها قوله تعالى: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾.
2 - لعل حدث الثورة الفرنسية التي حدثت عام 1789م كان من الأحداث البارزة في التاريخ الحديث، والتي حملت جملة من الشعارات الهامة؛ مثل الحرية والمساواة والعدالة والأخوة؛ لذلك ليس مفاجئا أن يكون مفهوم الأمن من أولويات هذه الثورة، وحقا من الحقوق الحيوية التي حققتها للمجتمع؛ بحيث إن الثوار أصدروا ما سمي بـ «إعلان حقوق الإنسان والمواطن» يوم 26 غشت من العام نفسه، والذي نص صراحة على حفظ الأمن بالنسبة إلى الناس، باعتبار أنه حق من الحقوق الإنسانية الأيكة؛ إذ نصت المادة الثانية من هذا الإعلان على ما يلي: «الهدف من كل مجتمع سياسي هو المحافظة على الحقوق الطبيعية للإنسان والحقوق التي لا تسقط بالتقادم، وهذه الحقوق هي الحرية والملكية والأمن ومقاومة الظلم». انظر: نور الدين (مصلوحي)، «الأمن الروحي في التشريع المغربي»، مقال منشور بتاريخ 29 أكتوبر 2018 في موقع مغرب القانون www.maroclaw.com، حمل ويوشر بتاريخ 2019/8/10.

الثالثة على أن الأمن حق من حقوق الإنسان التي لا يمكن الاستغناء عنها¹. وبعد ذلك توالى النصوص الدستورية والقوانين الوضعية الحاثثة على حفظ هذا الحق والعناية بأمن الأفراد والمجتمعات في شتى الدول والحكومات.

ولعل من يعنى النظر في مفهوم الأمن يجد أنه مفهوم متعدد الوظائف والاستعمالات، ويحيل على عدة مجالات؛ مثل الأمن السياسي، والأمن الاجتماعي، والأمن العَدائي، والأمن القومي، والأمن الثقافي، والأمن المائي، والأمن الطاقوي، وغيره؛ لكن السنوات الأخيرة أنتجت لنا - في المجتمع المغربي- لونا جديدا من ألوان الأمن، وهو "الأمن الروحي" الذي ظهر في سياقات خاصة، وارتبط بأحداث معينة، وصار واجهة من واجهات تفاعل الدولة والمجتمع مع قضايا طارئة استلزمت تشخيصا معقلنا للأوضاع في بلادنا، ترتب عنه وضع برامج وتصورات ورؤى معينة في إطار السياسات العمومية التي نهجتها الدولة المغربية، والتي تمخضت في آخر المطاف عن ميلاد هذا المفهوم وظهوره إلى حيز الوجود منذ عام 2004م؛ بحيث إن المملكة المغربية عملت على تديره تديرا إيجابيا، وسوقته خارج ترابها نحو جملة من الدول العربية والإفريقية، وصار نموذجا للتعاون جنوب جنوب. وهو ما نود مقارنته في هذه الورقة البحثية من خلال الأسئلة التالية:

- 1- ما المقصود بالأمن الروحي؟
- 2- وما هي الدواعي التي كانت وراء ظهور هذا المفهوم في المغرب؟
- 3- وما هي آليات وأدوات تنفيذ سياسة الأمن الروحي في بلادنا وتنزيل مضامين هذا المفهوم على أرض الواقع؟
- 4- وكيف يمكن اعتبار سياسة الأمن الروحي التي نهجتها المملكة المغربية آلية من آليات التعاون جنوب جنوب بين المغرب ودول أفريقيا جنوب الصحراء؟

- التعريف بمفهوم "الأمن الروحي":
هذا المفهوم مركب تركيبا مزدوجا من خلال ارتكازه على نعت ومنعوت: الأمن (منعوت) ثم الروحي (نعت للمنعوت الذي هو الأمن). ولا يمكن إدراك معنى هذا المفهوم إلا بالجمع بين الكلمتين.

1 - جاء في منطوق هذه المادة ما يلي: «لكل فرد حق في الحياة والحرية وفي الأمان على شخصه». انظر نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن هيئة الأمم المتحدة بتاريخ 10 دجنبر من عام 1948م.

• تعريف الأمن:

بالعودة إلى مجمل القواميس العربية التي تناولت هاتين اللفظتين، نجد أنها فصلت فيما لغويا بما فيه إشباع وإقناع؛ إذ نجد أن الخليل بن أحمد الفراهيدي في قاموسه "العين" تناول لفظة "الأمن" لغويا في "باب الهمزة"، وعرفها تعريفا مفصلا كآتي: "من: الأمن، ضد الخوف، والفعل منه أَمِنَ يَأْمُنُ أَمْنًا. والمَأْمُنُ موضع الأَمْنِ"¹.

ويعد ابن منظور أكثر من فصل تفصيلا لا نظير له في مادة "أمن" وأحاط بها من مختلف الجوانب، وأعطاهها مساحة كبيرة ضمن مادة: "أمن" في المجلد الأول من قاموس "لسان العرب". ومن ضمن ما دونه بشأنها، أن "أمن من الأمان والأمانة بمعنى [واحد]. وقد أمنت فأنا أَمِنُ. وآمَنْتُ غيري من الأَمْنِ والأَمَانِ. والأمن ضد الخوف. والأمانة ضد الخيانة [...] أما آمَنْتُهُ المتعدي فهو ضد أَخَفَّتُهُ. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾". وزاد أن "الأمن نقيض الخوف، أَمِنَ فُلَانٌ يَأْمُنُ أَمْنًا وَأَمْنًا [...] وَأَمْنَةٌ وَأَمَانًا، فهو أَمِنٌ. والأَمْنَةُ الأَمْنُ، ومنه، "أَمْنَةٌ نَعَاسًا" و ﴿إِذْ يَغْشَاكُمْ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ﴾"².

وعرف ابن سيده الأمن يقوله: "الأمن نقيض الخوف، أَمِنَ أَمْنًا وَأَمْنًا [...] وَأَمْنًا وَأَمْنَةً وَأَمَانًا. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾³، قال أبو إسحاق: أراد ذا أمن فهو أَمِنٌ وَأَمِنٌ وَأَمِينٌ [...] وأنت في آمِنٍ أي: في آمِنٍ".

وإذا أمعنا النظر في هذه التعاريف المستفيضة التي أتت بها القواميس العربية الأصيلة حول لفظة "الأمن"، نجد أن الفراهيدي جعل الأمن ضد الخوف، واعتبر الأمانة ضد الخيانة. أما ابن منظور فقد ناظر بين الأمن والأمان والأمانة، واعتبر أيضا أن الأمن نقيض الخوف، وأن الأمانة ضد الخيانة. ومن عجائب التعريف اللغوي لابن منظور، أنه مائل بين لفظتي "الأمن" و"الأمانة" [من دون ألف بعد الميم]، وجعل لهما معنى واحدا، وعزز ما ذهب إليه بالحديث النبوي المشار

1 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، [ت. 170 هـ]، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، 4 أجزاء [ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هندواوي]، باب الهمزة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت: ط. 1، 1424هـ/2003م.

2 - ابن منظور، لسان العرب، [تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي] دار المعارف، القاهرة: [د.ت.]. مادة "أمن".

3 - البقرة، 150

إليه أعلاه. وهو حديث ذو حمولة أمنية ثقيلة جدا، لا نظير لها؛ لأنه أشار إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم بين أن النجوم أمانة السماء، أي حافظة لأمنها، فإذا انتهت النجوم بفعل عمليتي التكوير والانكدار، أتى السماء ما وعدت، وهو الانشقاق والذهاب والزوال. وكذلك أن الرسول (ص) فهو أمانة لأصحابه؛ لأنه كان يبين لهم ما كانوا فيه يختلفون، وعندما توفي أتاهم ما وعدوا، وهو الفتنة والخلافات بعدما جالت خواطرهم واختلفت أهواؤهم، وقلت الأنوار، وكثر الظلم والظلام. وكذلك أصحاب رسول الله كانوا أمانة لأمتهم، فلما ذهبوا أتاهم وعدوها، أي أدبر الخير عنها، وأقبل الشر عليها. واعتبر ابن سيده في قاموس "المحكم والمحيط الأعظم" أن الأمين أو الآمن من الأيمن. ورجل يأمنه الناس، أي لا يخافون بطشه، ولا يخشون غائلته. وزاد أن ربط بين الآمن والدين والخلق واعتبر العلاقة بينهما وثيقة؛ لأن بالآمن يحفظ الدين وتسمو الأخلاق، ومن دونه تضطرب عقائد الناس، وتنتكس شيمهم، وتخطأ أخلاقهم.

وعموما، فإن القواميس العربية التي أصلت للفظ "الأمين" لغويا، أقرتها بالسكينة والطمأنينة، واعتبرتها نقيضا للخوف والفرع والهلع؛ كما أن اللغويين اعتبروا أن الأمانة والأمانة من الأيمن، وهما نقيض الخيانة، وأن الأيمن أساس الدين القويم والخلق الكريم.

• تعريف الروح:

عرف صاحب قاموس / معجم "العين" الروح بأنها "النفس التي يحيا بها البدن. يقال: خرجت روحه، أي نفسه. ويقال: خرج فيدكر، والجميع أرواح. والروحاني من الخلق نحو الملائكة، وخلق روحا بلا جسم. والروح جبرائيل عليه السلام. وهو روح القدس. ويقال: الروح مَلَكٌ يقوم وحده فيكون صفا:1.

واستفاض ابن منظور في تعريف الروح من خلال مادة "روح". وخص هذه اللفظة بثاني عشرة صفحة، ويبحث في كل أوجهها اللغوية. وتنتطف من تعريفاته في هذا الباب ما يلي: "روح: نسيم الهواء، وكذلك نسيم كل شيء وهي مؤنثة [...] وإنما الأرواح جمع روح". وعرض لمجمل الكلمات التي لها صلة بمادة (روح). وخلص إلى أن "الروح، بالضم، في كلام العرب: النفخ، سمي روحا لأنه ريح يخرج من الروح، ومنه قول ذي الرمة في نار اقتدحها وأمر صاحبه بالنفخ فيها، قال:

1 - الخليلي بن أحمد (الفراهيدي)، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم [باب الرائ، ص. 160.

فقلت له: ارفعها إليك، وأحيها بروحك واجعله لها قيته قدرا، أي أحيها بنفخك واجعله لها؛ الهاء للروح لأنه مذكر في قوله: واجعله، والهاء التي في لها للنار، لأنها مؤنثة [...] يقال: خرج روحه والروح مذكر¹. وزاد صاحب "لسان العرب" أن "الروح: النفس يذكر ويؤنث، والجمع الأرواح. التهذيب: قال أبو بكر بن الأنباري الروح والنفس واحد، غير أن الروح مذكر والنفس مؤنثة عند العرب. وفي التنزيل: ﴿وَسأَلُونكَ عَن الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِمَّنْ أَمَرَ رَبِّي﴾ وتأويل الروح أنه ما به حياة النفس [...] قال الفراء: والروح هو الذي يعيش به الإنسان، لم يخبر به الله تعالى أحدا من خلقه، ولم يعط علمه العباد. قال: وقوله عز وجل: ﴿وَنفَخْتَ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فهذا الذي نفخه في آدم وفيما لم يعط علمه أحدا من عباده. قال: وسمعت أبا الهيثم يقول: الروح إنما هو النفس الذي يتنفسه الإنسان، وهو جارٍ في جميع الجسد، فإذا خرج لم يتنفس بعد خروجه، فإذا تتامَّ خروجه بقي بصره شاخصا نحوه، حتى يُغمض، وهو بالفارسية "جان"، قال: وقول الله عز وجل في قصة مريم، عليها السلام: ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويا﴾، قال أضاف الروح المرسله إلى مريم إلى نفسه كما تقول: أرض الله وسماؤه؛ قال: وهكذا قوله تعالى للملائكة: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾، ومثله ﴿وَكَلَّمْتَهُنَّ أَلقَاهَا إلى مريم وروح منه﴾؛ والروح في كل هذا خلق من خلق الله لم يعط علمه أحدا [...] الروح: الفرح. والروح القرآن. والروح: الأمر. والروح النفس [...] سمي [الوحي] روحا لأنه حياة من موت الكفر، فصار بحياته للناس كالروح الذي يحيا به جسد الإنسان. قال ابن الأثير: وقد تكرر ذكر الروح في الحديث، كما تكرر في القرآن، ووردت فيه على معان، والغالب منها أن المراد بالروح الذي يقوم به الجسد وتكون به الحياة، وقد أطلق على القرآن، والوحي، والرحمة، وعلى جبريل في قوله [تعالى]: ﴿الروح الأمين﴾، ﴿وروح القدس﴾. والروح يذكر ويؤنث [...] قال الرِّجَّاج: الروح خلق كالإنس وليس هو بالإنس؛ وقال ابن عباس: هو ملك في السماء السابعة، وجهه على صورة إنسان، وجسده على صورة الملائكة؛ وجاء في التفسير: إن الروح ههنا جبريل. وروح الله حكمه وأمره [...] والروح عيسى عليه السلام. والروح حَفَظَةٌ على الملائكة. الحفظة على بني آدم [...] والروحانيون أرواح ليست لها أجسام [...] ولا

1 - لسان العرب، مادة "روح".

يقال لشيء من الخلق روحاني إلا للأرواح التي لا أجساد لها؛ مثل الملائكة والجن وما أشبهها. وأما ذوات الأجسام فلا يقال لهم روحانيون".

وتناول ابن سيده في مادة "ر.و.ح" عددا كبيرا من الكلمات القريبة من لفظة روح؛ مثل: ريح، رِيحَة، رَوْح، رِيحٌ، مَرَوْحَة، مِرْوَاخٌ، مِرْوَحٌ، رَوْحٌ، رَاحَة، الاسترواح، رِيحَانٌ، رَوَاخٌ، راحة، مُرَاحَة، رَوَاحة، أَرِيحِيَّة، تَرِيحٌ، راحة¹، ليخلص إلى تعريف الروح، قائلا: "والروح: النفس، تذكر وتؤنث. وفي التنزيل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾². وأضاف "وتأويل الروح أنه ما به حياة النفس"³. واسترسل ابن سيده في التعريف بالروح، مبرزاً أنها جاءت في سورة «غافر» بمعنى الوحي، أي القرآن، ودلت أيضاً على أمر النبوة، وبين أيضاً أنها جاءت بمعنى مختلف في سورة "النبأ": في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾؛ إذ دلت الروح على أنها خلق كالإنس وليس هو بالإنس، ودلت على حكم الله وقضائه في موضع آخر، وعني بها جبريل عليه السلام، ودلت في مكان آخر على عيسى عليه السلام، وتضمنت معنى الملائكة في مناسبة أخرى، وأطلقت على مخلوقات بغير جسم ولا جسد في مواقع عديدة⁴.

وبالرجوع إلى مختلف التعاريف التي قدمها اللغويون للفظ "روح"، نجد أن هناك تحديدا للإطار العام الذي يسبح فيه معناها، وهو الموازة بين الروح والنفس. وقد أكد كل من ابن سيده والفراهيدي وابن منظور أن الروح تدخل ضمن عالم المخلوقات غير المحسوسة؛ كالملائكة والجان والهواء والنسيم والريح والنفخ؛ بل إن اللغويين رفعوا من قيمة الروح وعظمتها عندما جعلوها طلسم هذا الكون وأحد أهم مستغلقه التي لم يعط الباري علمها أي كان من الإنس أو من الجن، وأبقى علمها عنده إلى يوم البعث والحساب، وجعل ذلك تحدياً أبدياً لخلقه ولو كان بعضهم ظهيرا لبعض. وما هو مثير في هذه التعاريف ما أشار إليه ابن منظور بأن الروح تعني ما به حياة النفس، وتدل على الذي يعيش به الإنسان. وهو بذلك وازى بين الروح والحياة أو العيش؛ مما يعني أن ذهاب الروح يعني حلول الفناء وحصول الممات. وهذا يفيد بأن الروح هي لب الإنسان وجوهه وأهم ما

1 - المحكم والمحيط الأعظم، "روح".

2 - الإسراء، 85.

3 - المحكم والمحيط الأعظم، "روح".

4 - نفسه، "روح".

فيه. وهذا الاعتبار والتقدير للروح دليل كاف على ضرورة بدل الأفراد والجماعات أقصى محمد للحفاظ على سلامة الروح وطهارتها، وصيانتها من أي مكرواح قد يصيبها، وجعلها محط عناية واهتمام على وجه الاسترسال والاستدامة.

وبعد التعرف على معنى لفظي "أمن" و"روح" بشكل متفرق، واستعراضنا لمدلولات كل واحدة منها، أنت اللحظة للجمع بينها بغية تبيان مدلول "الأمن الروحي" لغويا؛ إذ نجد أن هذا المركب يدل على الاطمئنان النفسي للفرد والجماعة، ويعني أيضا حلول السكينة حياة الناس، وجعلهم بعيدين عن كل ما يخيفهم، وتحسينهم من أي شيء يزعزع حياتهم، أو يزعج ذواتهم، أو يقلق أنفسهم، ويجعلها خائفة ومضطربة؛ أي إن "الأمن الروحي" يعني الحفاظ على حياة الناس وإبعادهم عن الهلاك والانحطاق. وهو ما يبرز الدرجة الرفيعة التي يحتلها هذا المفهوم من الناحية اللغوية.

وإذا كانت الجوانب اللغوية لهذا المفهوم قد باحت بأسرارها، وكشفت عن مكوناتها بفضل اجتهاد السلف الصالح في هذا الباب، وبفعل وجود لفظي "الأمن" و"الروح" منذ القدم، فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى الجوانب الاصطلاحية لهذا المفهوم؛ نظرا إلى كونه مستحدثا، وتم نحته منذ أقل من عقدين؛ إذ لم يكن هذا الاصطلاح متداولاً منذ ما قبل الألفية الثالثة لاعتبارات موضوعية ووجوبية؛ لكن التداول الفعلي والرسمي لهذا المفهوم ظهر منذ خطاب الملك محمد السادس في مدينة الدار البيضاء عام 2004 أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس الإقليمية، حول موضوع "إعادة هيكلة الحقل الديني"، والذي افتتحه جلالته بقوله: "حضرات السيدات والسادة، لقد دأبنا منذ تقلدنا إمارة المؤمنين، ملتزمين بالبيعة المقدسة، وما تقتضيه من حماية الملة والدين، على إيلاء الشأن الديني الأهمية الفاتكة، والحرص على قيام مؤسساته بوظائفها على أكمل وجه، والعناية بأحوال الساهرين عليها، والسير على النهج القويم لأسلافنا المنعمين في الحفاظ على الأمن الروحي للمغرب ووحدة المذهب المالكي"¹. ومنذ هذا الخطاب تداول الإعلام هذا المفهوم بشكل كبير، وروج لمضامينه ومقاصده، وبات يشق طريقه نحو الاكتمال ليستوي على دلالة معينة، مفادها أن "الأمن الروحي" يقصد به صيانة العقيدة وحماية الدين من كل تعصب أو تطرف، والنأي به عن كل فكر منغلق.

1 - انظر نص الخطاب الملكي بمناسبة إعادة هيكلة الحقل الديني، والذي ألقاه الملك محمد السادس بمدينة الدار البيضاء يوم 10 ربيع الأول 1425هـ/ الموافق لـ 30 أبريل 2004.

وهذا المدلول هو الذي تبنته الرسالة الملكية التي بعث بها الملك محمد السادس إلى المشاركين في الندوة الدولية التي افتتحت أشغالها يوم الاثنين 30 شتنبر 2013 بفاس، حول موضوع "الحوار بين الحضارات واحترام التنوع الثقافي"، التي عقدت تحت الرعاية السامية لجلالته، والتي حضرها المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والأمين العام للمنظمة الدولية للفرنكوفونية الرئيس السنغالي الأسبق عبدو ضيوف. جاء فيها: "وهوذا منا بهذه الأمانة المقدسة، فقد حرصنا، منذ اعتلائنا العرش، على التجديد العميق للحقل الديني الوطني، من أجل الحفاظ على الأمن الروحي للمغاربة، في إطار القيم الحقيقية للإسلام، طبقاً لمبادئ المذهب المالكي، الذي يدعو للاعتدال والتسامح، والابتعاد عن الظلامية والتطرف". وهذه الرسالة الملكية أضافت إضاءات مهمة إلى مفهوم الأمن الروحي الذي بات يعني الحفاظ على العقيدة الإسلامية في إطار القيم الحقيقية للإسلام المبنية على الوسطية والاعتدال، والمتشعبة بالتسامح والتعايش مع الآخر، ومحاربة كل البدع والضلال، والابتعاد عن الظلامية والتطرف، والتشبث بمضامين المذهب المالكي الذي اختاره المغاربة منذ قرون، وجعلوه ثابتاً من ثوابت هويتهم الروحية إلى جانب العقيدة الأشعرية والتصوف السني. وبهذا تكون الملامح العامة لهذا المفهوم قد تبلورت وتشكلت بما فيه الكفاية، وبات قابلاً للتوظيف والتداول من غير إبهام ولا غموض.

2- الأسباب التي كانت وراء ظهور مفهوم الأمن الروحي:

إن المتمعن في تاريخ ظهور مفهوم الأمن الروحي في المغرب، لا شك في أنه سيخرج بقناعة راسخة بأن نحته وخروجه إلى حيز التداول، وانتشاره بذلك الشكل وبتلك السرعة، جاء نتيجة لمبدأ العلية أو السببية بارتباط مع جملة من العوامل، وفي علاقة مع حزمة من القضايا والمسائل التي طفت على السطح، وكانت لها تداعيات مؤثرة جداً على الشأن العام في المغرب. ونخص من هذه العوامل على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- تزايد حدة إنتاجات مواقع التواصل الاجتماعي، ومخرجات الفضاء الأزرق، وتعدد المنابر الإعلامية بمرجعيات مختلفة، وانتشار البث الفضائي الحي والمباشر بشكل غير مسبوق، بخلفيات متعددة؛

- تصاعد المد التبشيري المسيحي اعتمادا على الترغيب، واستغلالا لظروف بعض الفئات من حيث الهشاشة والفقر في بداية الألفية الثالثة؛

- انتشار الأساطير والخرافات وسلوكيات الشعوذة والفكر الغيبي اللاعقلاني في جملة من الأوساط التقليدية؛

- العولمة الفكرية أو الثقافية التي تجاوزت الحدود الوطنية، واعتمدت على القنوات الفضائية والعالم الأزرق من أجل بث الأفكار المزعزعة للعقيدة الناس ولثواب الأمة؛

- ظهور فكر أصولي متطرف مشبع بالكراهية ومعاداة الآخر، يحمل قيما خطيرة تدعو إلى الثأر والانتقام وتناؤى التسامح، وتمقت التعايش، ولا تعترف بالعيش المشترك، وترفض الرأي الآخر رفضا قاطعا، وتعادي الخيارات الكبرى للدولة؛ مثل الخيار الديمقراطي والتعدد الحزبي، والاقتصاد الحر، وحرية الرأي، وغير ذلك؛

- تعرض المملكة لسلسلة من الهجمات الإرهابية المروعة في أعقاب اجتياح الخلايا الإرهابية لمعظم الدول في الشمال والجنوب، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) 2001؛ بحيث إن المغرب أصبح مستهدفا من قبل جماعات متطرفة نفذت سلسلة من العمليات الإرهابية في عدد من المناطق المغربية ابتداء من مايو 2003م¹؛ وخلفت عددا من القتلى والجرحى، وزعزعت أمن الناس واستقرارهم. وكشفت تلك الأحداث عن حمل تلك الفئات لأفكار عقديّة مخالفة تماما للعقيدة التي آمن بها المغاربة منذ قرون وحسموا في ماهيتها، وطبيعتها ومكوناتها عن قناعة ثابتة وبإيمان راسخ؛

- عودة المذاهب المتطرفة إلى الواجهة واقتحامها المجال المغربي بشكل مريب؛ مثل المذاهب الشيعية والخارجية (قطع المغرب علاقاته الدبلوماسية مع إيران سنة 2009 بسبب أنشطة مشبوهة للسلطات الإيرانية، "وبخاصة من طرف البعثة الدبلوماسية بالرباط تستهدف الإساءة للمقامات الدينية الجوهرية للمملكة، والمس بالهوية الراسخة للشعب المغربي ووحدة

1 - انظر: عبد الوهاب (رفيقي)، "روح". إصلاح الدين رؤية ملك "روح". 44، مقال في مجلة زمان المغرب كما كان، العدد 70-71، غشت سبتمبر 2019، ،

عقيدته، ومذهبه السني المالكي"¹؛ وذلك في إشارة إلى اتهامات إعلامية سابقة للبعثة الإيرانية بالتورط في دعم التشيع بالمغرب؛

- ظهور جماعات ذات توجهات أخلاقية معينة، وسلوكيات لا تنسجم مع عقيدة المغاربة وأخلاقهم؛ مثل الجماعات المثلية، وما يضاف إليها من حركات تهدف إلى زعزعة عقيدة الأفراد والمجموعات في عدد من المناطق المغربية.

وكل هذه العوامل وغيرها جعلت السلطة السياسية في المغرب تتحرك بقوة وترد على هذه الوقائع والأحداث والتصرفات والأفعال بقرارات واضحة، وإجراءات معقولة؛ بحيث إنها قامت بتشخيص الوضعية تشخيصا دقيقا، وحددت الأولويات التي يجب مقاربتها، منعا لزعزعة عقيدة الناس وإيمانهم، وحفاظا على ثوابت الأمة ومرتكزاتها.

وهذا التشخيص هو الذي فرض إيجاد مخرج معقول ينأى بالمجتمع المغربي عن كل هذه الانحرافات والمخاطر؛ إذ إن القائمين على الشأن العام للبلاد وضعوا تصورا شاملا ورؤية متكاملة لهذه المشاكل، واعتمدوا في ذلك مبادرات متعددة انضوت تحت استراتيجية وطنية محكمة بعنوان: الأمن الروحي للمغاربة.

3- آليات وأدوات تفعيل مضامين الأمن الروحي في المغرب:

تطلب تفعيل مضامين سياسة الأمن الروحي وتنزيلها في المغرب، إعادة النظر في كل المؤسسات التي لها صلة بالحقول الديني في المملكة المغربية. وهذه العملية استوجبت تقويم الاختلالات التي شابت بعض تلك المؤسسات، سواء من حيث برامجها ووظائفها وطرق اشتغالها وكيفية تسييرها وتدير أمورها، أو من حيث طبيعتها وحجمها وعددها، وما يرتبط بها من عمليات التنسيق والتواصل والضبط والانتظام.

وهتمت هذه العملية جملة من المؤسسات المؤثرة في الشأن الديني في المغرب تأثيرا مباشرا، إما استحداثا أو تحديثا وإصلاحا، ومنها:

1 - بلاغ وزارة الخارجية المغربية بخصوص قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران صدر يوم 2009/3/7.

المغربية، وما قطعتة من أشواط هامة على درب الحداثة والعصرنة. ولم يعد مسموحا به أن يلج القطاع الديني كل من هب ودب، وإنما صارت الممارسات الدينية في المملكة المغربية خاضعة لمراقبة صارمة، وتعمل بتوجيهات السلطة السياسية العليا في البلاد، وفق ثوابت الأمة، وانسجاما مع الهوية المغربية التي ترسخت في هذا الباب منذ قرون طويلة.

- سياسة الأمن الروحي التي نهجتها المملكة المغربية كآلية من آليات التعاون جنوب جنوب المغرب بين المغرب ودول أفريقيا جنوب الصحراء:
4-1- ملاحظات لا بد منها:

• الملاحظة الأولى: تندرج هذه الاستراتيجية الدينية المغربية في إطار رؤية طموحة تستهدف تعميق النفوذ السياسي والاقتصادي للمملكة بالقارة السمراء، وتتجسد ملاحظها في العديد من المبادرات الرامية إلى توثيق التعاون المغربي-الأفريقي في المجال الديني؛

• الملاحظة الثانية: هناك تحديات تعترض هذه الاستراتيجية، لاسيما المنافسة من بعض المرجعيات الدينية المرتبطة ببعض الدول من شمال إفريقيا والخليج العربي والتي أضحّت، بفضل الإمكانيات المادية الضخمة والشبكات النافذة التي تسخرها، والتي تنازع جديا الحضور الروحي التاريخي للمغرب داخل عدد من دول إفريقيا الغربية؛

• الملاحظة الثالثة: تعاون المغرب مع أفريقيا جنوب الصحراء وتضامنه مع قادتها وشعوبها على أسس صلبة وواضحة وفق قاعدة راجح-راجح؛ كما نص على ذلك الملك محمد السادس في كثير من خطابه¹؛

• الملاحظة الرابعة: زيارات ميدانية متكررة للملك محمد السادس نحو دول أفريقيا الغربية والتي فاقت خمسين زيارة رسمية. وهو سلوك سياسي قوي لم يسبق لزعيم سياسي عبر التاريخ أن قام به، سواء من خارج القارة أم من داخلها، بمن في ذلك الزعيم التاريخي للتححرر من الرق والعبودية والعنصرية في القارة الإفريقية، ونعني به رئيس جنوب أفريقيا الراحل نيلسون مانديلا؛

1 - راجع الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى القمة 29 لقادة دول وحكومات الاتحاد الإفريقي، التي افتتحت يوم الاثنين 03 يوليوز 2017 بأديس أبابا، ثم الخطاب الذي القاه جلالتة في تطوان يوم 20 غشت 2017 بمناسبة الذكرى الرابعة والستين لثورة الملك والشعب.

4 - إجراءات عملية لنقل الاستراتيجية المغربية في مجال تدبير الشأن الديني إلى الدول

الإفريقية:

اتخذت المملكة المغربية جملة من التدابير الموضوعية لتصريف نموذجها حول الأمن الروحي نحو الدول الإفريقية؛ وذلك من خلال المبادرات التالية:
المبادرة الأولى: التعريف بالإرث التاريخي للمملكة المغربية في الحقل الديني داخل القارة الإفريقية من خلال التركيز على الثوابت المغربية في هذا المجال، ومنها:

أ- الوحدة المذهبية: خاصة المذهب المالكي السني المبني على الوسطية، والاعتدال في مجال الفقهيات والمعاملات اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وغير ذلك. وهو مذهب سار فيه مؤسسه إمام دار المدينة، مالك بن أنس رحمه الله، على سير أهل السنة والجماعة من أخذوا بكتاب الله وسنة رسول الله، بعيدا عن مذهب الخوارج والشيعية وغيرهم ممن سلكوا مسالك فيها غلو وتطرف وتعصب للطائفة أو للرأي، وشرّعوا لفكر التكفير وسفك دماء الأبرياء، إما تعصبا للرأي، أو انتصارا للنحلة والمذهب؛

ب- العقيدة الأشعرية: وهي مذهب أبي الحسن الأشعري في الاعتقاد [ت.324هـ/936م]. وهو مذهب أهل السنة والجماعة في القضايا الإيمانية الكبرى؛ كالتوحيد وصفات الله ويوم البعث والحساب، والإيمان بالملائكة والكتب والرسول، وبالقدر خيره وشره، وما يضاف إلى ذلك من قضايا غيبية شغلت بال الناس وخاضوا فيها نقلا وعقلا؛ إذ رام فيها الشيخ الأشعري المرونة ومحاولة الموافقة بين العقل والنقل، وابتعد فيها عن التأويلات العقلية المفضية إلى التطرف في الرأي والابتعاد عن مقاصد الكتاب والسنة.

ت- التصوف السني على طريقة الجنيد: وهو طريقة سلوكية قوامها التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، وملازمة الشريعة الإسلامية السمحة بعيدا عن الفكر الباطني، وما يذهب إليه بعض غلاة المتصوفة من سلوكيات خارجة عن منطق العقل وأحكام النقل، لاسيما فيما يتعلق ببعض المقامات الصوفية التي تدخل في مجال الاتحاد والحلول، أو بعض الأحوال التي تخرج البشر

عن السنن الكونية، والسلوكيات الإنسانية المحكومة بمبدأي العلية والسببية وفق أحداث تاريخية واقعية، مرتبطة بثالوث ثابت قوامه الإنسان والزمان والمكان.

ث-إمارة المؤمنين: وهي مؤسسة تاريخية ارتبط بها المغاربة والأفارقة على حد سواء، وامتدت إلى المجتمعات الإفريقية عبر التاريخ؛ إذ رآهم فيها المغرب ممارسات وتجارب ضخمة خصبة وغنية ومتجددة من حيث علاقة أمير المؤمنين برعاياه من خلال رابطة البيعة وطقوسها، وما يمثله الحضور الرمزي لهذه المؤسسة بالنسبة إلى كافة الفئات المؤمنة، سواء أكانت مسلمة أم كانت من أهل الكتاب؛ لأن الأمر يتعلق بالمؤمنين بمن فيهم المسلمون واليهود والنصارى. ورمزية إمارة المؤمنين لدى مجتمعات دول أفريقيا جنوب الصحراء ظهرت للعيان في الاستقبالات الشعبية الحاشدة التي خصت بها شعوب تلك الدول شخص جلالته الملك محمد السادس عند زيارته لها، باعتباره أميراً للمؤمنين، وليس بصفته قائداً سياسياً عادياً يقوم بزيارة عمل لبلد من البلدان؛ إذ تلك الحشود التي خرجت لاستقباله لم يسبق لها أن خرجت بتلك الكثافة وبذلك الحجم وبذلك الحماس لتحية قائد من قادتها، أو زعيم من زعمائها السياسيين مثلما قامت به تجاه أمير المؤمنين ملك المغرب، سواء في كينشاسا بجمهورية الكونغو الديمقراطية، أو في موروني عاصمة جزر القمر، أو في دكار عاصمة السنغال، أو في ليبرفيل عاصمة الغابون، أو في كوناكري عاصمة غينيا، أو في أبيدجان عاصمة الكوت ديفوار، أو في أنتاناناريفو عاصمة مدغشقر، وفي غيرها من العواصم الإفريقية التي حل بها الملك محمد السادس في إطار زيارات رسمية، وخص باستقبالات شعبية حاشدة لا مثيل لها.

وعمما يمكن تلخيص أهمية مؤسسة إمارة المؤمنين ودورها الحيوي في تصريف تجربة المملكة المغربية في مجال الأمن الروحي نحو الدول الإفريقية من خلال الدينامية والنشاط الكبيرين لهذه المؤسسة؛ مثلما تدل على ذلك البيانات التالية:

- أ- الزيارات الملكية المكثفة لدول أفريقيا جنوب الصحراء (+50 زيارة)؛
- ب- حرص جلالته الملك محمد السادس -باعتباره أميراً للمؤمنين- على أداء صلاة الجمعة في الديار الإفريقية (أزيد من 70 صلاة جمعة)؛

ت- حرص جلاله الملك على توزيع آلاف النسخ من القرآن الكريم المنشورة في مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف؛

ث- حرص البروتوكولات الملكية ذات الصلة بالجوانب الروحية في إفريقيا أن تكون مستضمة خلفيات عقديّة روحية أصيلة: هيئة ولباسا وسلوكا وتنظيما؛

ج- حرص إمارة المؤمنين على أن تكون أنشطة أمير المؤمنين في دول أفريقيا جنوب الصحراء، وخاصة تلك التي لها علاقة بالمجال الروحي، أنشطة تحظى بتغطية إعلامية مكثمة أكثر من غيرها؛

ح- اهتمام جلاله الملك بالزعامات الروحية في دول أفريقيا جنوب الصحراء، والعناية بها من خلال تشريفه لها باستقبالات شخصية ولقاءات مباشرة، همت أئمة المساجد وحفظه القرآن الكريم وزعماء الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا، خاصة أولئك الذين يمثلون الطرق الصوفية ذات الجذور المغربية، وعلى رأسها الطريقة التيجانية والجزولية والصديقية والمعينية، ناهيك عن أخرى ذات جذور مشرقية، ومنها القادرية وغيرها. وهي كلها طرق تأخذ بالتصوف السني على طريقة الجنيد. وهو التصوف الذي تتبناه المملكة المغربية وتدعمه؛ نظرا إلى ما يتصف به من انسجام مع المالكية مذهبا، والأشعرية عقيدة، من حيث البساطة والاعتدال والوسطية.

المبادرة الثانية: جعل المؤسسات القائمة على الشأن الديني في المغرب منفتحة على دول إفريقيا جنوب الصحراء:

وأهم هذه المؤسسات هي:

أ- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: التي تشرف على جزء كبير من الحقل الديني في المغرب، خاصة ما يهم تدبير شأن المساجد، والقيمين عليها من فقهاء ونظار ومؤطرين ومرشدين دينيين، وما يرتبط بها من أحباس وأوقاف وهيئات ومساجد ومدارس، ومؤسسات لها صلة بالتعليم العتيق الذي يعتبر المجال الخصب للشأن الديني في المملكة المغربية، إضافة عن الإشراف العام على حقل التصوف وما يضمنه من طرق وزوايا ورُبطٍ وأضرحة ومزارات تدخل ضمن مهام وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التي تأخذ في حسابها الانفتاح التام على دول إفريقيا جنوب

الصحراء، انسجاما مع توجهات المملكة المغربية في هذا الباب تاريخيا، وتنفيذا للتعاليم الملكية في هذا الشأن؛ بحيث إن الملك باعتباره أميرا للمؤمنين، ووعيا منه بالمسؤولية الملقاة على عاتق هذه المؤسسة الشرعية، فقد ظل على الدوام حريصا على أن تكون وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أداة حقيقية لترسيخ العلاقات الروحية للمغرب مع شعوب القارة الإفريقية من خلال جملة من المبادرات والإجراءات والتدابير التي تتخذها من أجل هذا الغرض؛ مثل الإشراف على المرشدين، والمؤطرين والقيمين الدينيين المنحدرين من دول إفريقيا جنوب الصحراء، الذين تحتضنهم مختلف المؤسسات التابعة لهذه الوزارة في المغرب، وتعمل على تكوينهم تكوينا متينا، ليعودوا إلى بلدانهم مسلحين بحصيلة علمية ومعرفية هامة في مجال التأطير الديني وفق النموذج المغربي الذي يراعي الوسطية والاعتدال، وينأى بنفسه عن التطرف والغلو، ناهيك عن استقبال علماء، وفقهاء أفارقة في إطار دورات تكوينية موسمية، أضف إلى ذلك المواسم السنوية التي تعقدتها بعض الطرق الصوفية في المغرب، والتي يجج إليها آلاف الأفارقة كل عام؛ مثل الطريقة التيجانية، والمعينية، والصديقية والبوتشيشية وغيرها. وهي كلها مداخل حقيقية للتعاون جنوب جنوب بين المملكة المغربية ودول أفريقيا جنوب الصحراء.

ب- المجلس العلمي الأعلى: هو مجلس يترأسه جلالة الملك باعتباره أميرا للمؤمنين وحاميا للملة والدين، شهد انطلاقة في عهد الملك الراحل الحسن الثاني؛ لكنه عرف تعديلات مهمة سنة 2000، قبل أن يخضع إلى هيكلة شاملة وجذرية سنة 2004 بعد تصاعد مد الفكر المتطرف، وما عرفته المملكة من عمليات إرهابية اضطرت معها إلى استنفار مجمل ألياتها لكبح جاح هذا الفكر؛ وذلك من خلال وضع استراتيجية وطنية شاملة لتدبير وإصلاح الحقل الديني في المغرب¹.

وهكذا، تمت مراجعة اختصاصات المجلس العلمي الأعلى بعد أن استشعرت السلطة في المغرب وجود علماء خارجين عن منظورها الرسمي لكيفية تسيير الشأن الديني في البلاد، فخضع لهيكلة جديدة، وأصبحت عضويته تضم 47 عالما وعالمة، بمن فيهم وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، وبعض كبار العلماء الذين يعينون بصفة شخصية من لدن الملك، وعددهم خمسة عشر

1 - انظر: "روح". إصلاح الدين رؤية ملك "روح" 45.

عضوا، إضافة إلى الكاتب العام للمجلس العلمي الأعلى، ورؤساء المجالس العلمية، ناهيك عن توسيع شبكة المجالس العلمية التي أصبحت مرتبطة ارتباطا مباشرا بمؤسسة إمارة المؤمنين، وبلغ عددها 30 مجلسا، و68 فرعا تغطي كافة التراب المغربي؛ كما وضعت لهذا المجلس أربع لجان متخصصة، هي: لجنة التوحيد والإرشاد الديني، ولجنة إحياء التراث الإسلامي، ولجنة الدراسات والأبحاث العلمية، ولجنة التعاون والتواصل وبرامج الأنشطة، وما أضيف إلى ذلك من منسقين وقيمين على تلك اللجان.

وحددت مهام المجلس العلمي الأعلى أساسا في السهر على مجال الإفتاء في المغرب؛ إذ لا يؤخذ إلا بالفتاوى الصادرة عنه، ويمنع منعا مطلقا أن تصدر الفتوى عن هيئة أخرى غير المجلس العلمي الأعلى؛ وذلك منعا لإفساد عقائد الناس وأحوالهم، وسدا لزعة المنظومة السلوكية للمجتمع المغربي بتعدد الفتاوى وتضاربها في مختلف القضايا وشؤون الحياة. وأنيقت بهذه المؤسسة مهام أخرى، منها: ضمان الأمن الروحي للمغاربة، وحراسة الثوابت الدينية للأمة والمتمثلة في العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني. وتعمل، من خلال المجالس العلمية المحلية، على تنشيط الحياة الدينية وفق برامج محددة.

ويعتبر المجلس العلمي الأعلى أهم مظهر لإصلاح الحقل الديني في المغرب، والعمل على تحديثه وفق السياقات الزمنية ومستجداتها إقليميا ودوليا. وتسعى المملكة المغربية إلى أن تعطي من خلاله نمودجا حيا للدول الإفريقية في كيفية ضبط الحقل الديني، وجعله يخدم الأمن الروحي للمواطنين بعيدا عن الغلو والتطرف. وهذا أمر التزم به هذا المجلس، وعمل على تصريفه وأجراته من خلال ربط الجسور مع العلماء الأفارقة في عدد من الدولة بإفريقيا جنوب الصحراء؛ وذلك من خلال إبداء الرأي في عدد من النوازل والفتاوى ذات الاهتمام المشترك، والتي لها علاقة بالمنظومة الروحية والعقدية للإنسان المسلم في أفريقيا؛ الشيء الذي جعل من المجلس العلمي الأعلى والمجالس الجهوية والمحلية المرتبط به منصة خصبة وقوية للتفاعل مع قضايا أفريقيا وشؤونها الدينية، اعتمادا على مبدأي الاعتدال والوسطية.

ج- الرابطة المحمدية للعلماء: أحدثت بموجب الظهير الشريف الصادر في 15 محرم 1427 هـ الموافق لـ 14 فبراير 2006. يتأسس هذه الرابطة أمين عام. وتشرف على 14 مركزا للدراسات والأبحاث، و11 منبرا إعلاميا ومجلة وجريدة.

وتسعى الرابطة إلى التعريف بأحكام الشرع الإسلامي، ونشر مبادئ الوسطية والاعتدال، والإسهام في تنشيط الحياة العلمية والثقافية في مجال الدراسات الإسلامية، وتوثيق أواصر التعاون والتواصل بين العلماء والمفكرين والهيئات العلمية داخل المغرب وخارجه، وهي آلية من آليات الأمن الروحي التي يريد المغرب أن يكون لها دور في التعاون الذي يربطه مع دول إفريقيا جنوب الصحراء.

د- مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة:

أحدثت هذه المؤسسة في يوليو 2015، بهدف "توحيد وتنسيق جهود العلماء المسلمين في المغرب وباقي الدول الإفريقية للتعريف بقيم الإسلام السمحة ونشرها وترسيخها"¹. ويحمل إحداث هذه المؤسسة ثلاثة أبعاد رئيسية:

* البعد الأول: السعي إلى تنسيق عمل العلماء الأفارقة في إطار استراتيجية دينية متعددة الأطراف تقودها المملكة المغربية، لمواجهة التحديات الأمنية المرتبطة بالفكر الأصول المتزمت، وما ينتج عنه من تطرف وإرهاب، شكلت عدد من دول أفريقيا جنوب الصحراء مسرحا له في الكثير من المناسبات؛

* البعد الثاني: رغبة المملكة المغربية في تمكين المجتمعات الإفريقية من امتلاك أدوات عملية لسياسة دينية مهيكلية ومنظمة، وجعل تلك المجتمعات قادرة على التحكم في الشأن الديني بما يلزم؛

* البعد الثالث: إنشاء مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة يعكس الطموحات الإقليمية والحيوية-استراتيجية الواسعة والرحبة للمملكة المغربية في مجال قيادة الحقل الديني إقليميا وأفريقيا؛ كما أن هذه المؤسسة تدخل أساسا كآلية من آليات مواكبة السياسة الإفريقية الجديدة للمغرب والرامية إلى تعزيز مناطق نفوذه السياسي والاقتصادي في القارة الإفريقية، وتوسيعها إلى ما وراء المحور التاريخي الرباط-دكار الذي استمرت هيمنته على هذه العلاقات لنحو عقود، وبات محددًا رئيسًا لمجال السياسة الإفريقية للمملكة من خلال الكثير من التظاهرات والسلوكيات.

1 - راجع المادة 4 من الظهير الشريف رقم 1-15-75 الصادر في 24 يونيو 2015 في شأن تأسيس "مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة"، والذي نشر في الجريدة الرسمية، عدد 6372، 25 يونيو 2015.

هـ - مؤسسات أخرى تدخل ضمن الاستراتيجية الوطنية للمملكة المغربية في مجال الأمن الروحي:

قام المغرب بإنشاء أو تجديد أو إعادة هيكلة عدد كبير من المؤسسات على شكل آليات وأدوات واقعية لترسيخ الأمن الروحي للمغاربة ولمن يريد أن يقتدي بهم في هذا المجال، لاسيما في دول أفريقيا جنوب الصحراء التي يربطها مع المغرب تاريخ مشترك، وتجمعها به أواصر قوية. لذلك فإن المملكة المغربية راعت في تجديد البنيات الهيكلية للحقل الديني في المغرب الانفتاح على العمق الإفريقي والتعاطي مع قضايا وشؤون أفريقيا بكل واقعية، وأن تعمل على إبراز تلك الروابط وترسيخها، وأن تستثمر فيها من خلال البحث في هذا الباب، ونشر النصوص والمتون التي تخدم هذا التوجه. وهذه مهام تدخل في صلب اهتمامات عدد من المؤسسات ذات الطبيعة الدينية في المملكة المغربية؛ مثل معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية، ومؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف، ومعهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات، ومؤسسة العلوم الإسلامية، ومؤسسة دار الحديث الحسنية، ومعهد الفكر والحضارة الإسلامية.

وهذه كلها مؤسسات منفتحة على القارة الإفريقية، وتسعى جاهدة إلى إنجاح الاستراتيجية الوطنية في مجال الأمن الروحي، ونقل تجربة المغرب في هذا المجال إلى مختلف الدول التي تتقاسم مع المملكة المغربية أهداف وغايات هذه الاستراتيجية، سيما أن بعض هذه الدول في أفريقيا جنوب الصحراء باتت مهددة أكثر من أي وقت مضى بموجات الفكر المتطرف، وظهور الجماعات التكفيرية، وانتشار التيارات العقيدية الهدامة التي لا تؤمن بالقيم الإنسانية السمحة، وترفض التعايش مع الغير، وتبذ التسامح، وتُشيعُ الغلو والتشدد والتعصب، وتمتق الحوار. وهذا ما جعل عددا كبيرا من مجتمعات أفريقيا تفقد أمنها الروحي، وتعيش على الخوف والتوجس، وتعاني من عمليات إرهابية خطيرة نابعة من منظومة عقيدية متطرفة تؤمن بالرأي الواحد، وتريد البقاء خارج المراقبة والانضباط للنظام العام في بلدانها؛ الشيء الذي يعني أن الوجود المغربي في أفريقيا أمر ملح من شأنه أن ينعكس إيجابيا على شعوبها.

والمؤكد أن الحضور الوزان للمملكة المغربية على الساحة الأفريقية سياسيا واقتصاديا وفكريا، نال ثقة مجتمعات أفريقيا التي اطمأنت إليه، فتأكد لسكان تلك الدول النوايا الحسنة للمغرب تجاه قضاياها التنموية اقتصاديا وبشريا. وهذا أمر برهن عليه المغرب واقعيًا وموضوعيًا من خلال حزمة من المبادرات التي توجت بمنجزات عظيمة في بعض الدول الأفريقية؛ مثل: المشاريع التنموية الكبرى التي أطلقها العاهل المغربي في الأوساط الإفريقية؛ "كأنبوب الغاز الأطلسي نيجيريا-

المغرب، وبناء مركبات لإنتاج الأسمدة بكل من إثيوبيا ونيجيريا، وكذا إنجاز برامج التنمية البشرية لتحسين ظروف عيش المواطن الإفريقي، كالمرفق الصحية ومؤسسات التكوين المهني وقرى الصيادين"¹، علاوة على أن المغرب اختار وضع خبرته وتجربته، رهن إشارة إخوانه الأفارقة، إيمانا منه "بأن المال لا يدوم، وأن المعرفة باقية لا تزول، وهي التي تنفع الشعوب"²؛ كما أن المملكة انخرطت بقوة في المؤسسات والمنظمات الإفريقية الوازنة؛ مثل الاتحاد الإفريقي الذي عادت إليه سنة 2017، وحظي حضور الملك محمد السادس لقمته في أديس أبابا بتقدير كبير من قبل القادة الأفارقة، ولقي مواكبة إعلامية مكثفة أفريقيا وعالميا، دون إغفال انضمام المغرب للمجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا، ودعمه لبرامجها التنموية ومشاريعها الاقتصادية، لترتقي إلى تكتل إقليمي وازن ومؤثر في المنظومة الاقتصادية العالمية.

وكل هذه المبادرات الملموسة شجعت الأفارقة على الانخراط في الرؤية الاستراتيجية للمملكة المغربية حول الأمن الروحي، ودفعتهم إلى التعاون معها في هذا المجال لمحاصرة الفكر المتطرف، وتضييق الخناق على التيارات الهدامة، والمرجعيات المضللة، والآراء المزعزعة لعقائد الناس وأيمانهم، والعمل على نشر، سويا، قيم التعايش والتسامح والتعاون والتضامن بين شعوب القارة. وهو ما يعني أن مفهوم الأمن الروحي يعتبر آلية من آليات التعاون جنوب جنوب بين المملكة المغربية ودول أفريقيا جنوب الصحراء.

1- مقتطف من الخطاب الملكي الذي وجهه الملك محمد السادس يوم 20 غشت 2017 إلى الأمة بمناسبة الذكرى 64 لثورة الملك والشعب.

2 - مقتطف من الخطاب نفسه.

استنتاجات:

بناءً على البيانات والمعطيات التي أوردناها أعلاه، فإننا خرجنا بالاستنتاجات التالية:

1- إن المملكة المغربية تعاطت بكل واقعية مع الفكر التكفيري، ومع موجات التطرف، والغلو والعنف التي أطلّت بها الألفية الثالثة على المجتمعات البشرية في الشرق والغرب والشمال والجنوب؛

2- إن عمل المغرب بمنطق الاستراتيجيات فرض عليه أن يشتغل في الحقل الديني وفق منهج يعتمد التشخيص والتحليل واقتراح الحلول، وتحديد المعلومات والمعطيات وفق الظروف والسياقات؛

3- إن النموذج الذي قدمه المغرب في مجال تحديث وإصلاح وتدبير الشأن الديني أبان عن فاعليته، وجنب المملكة المغربية الآثار المدمرة للخلافات المذهبية والأفكار الظلامية وكل أشكال التطرف والتعصب الأعمى التي هزت أركان بعض الدول والمجتمعات، ورمت بها في مصائر مجهولة؛

4- إن مفهوم الأمن الروحي الذي بلوره المغرب منذ عام 2004 هو مفهوم متكامل الحلقات، ومنسجم مع السياسة العامة للدولة، ولا يعتبر نشاطاً في مسار التحديث الذي آمن به المغرب، ووفر له مختلف آليات النجاح والنضج والاختمار؛

5- إن مفهوم الأمن الروحي الذي يريد المغرب أن يجعله آلية للتعاون مع دول أفريقيا جنوب الصحراء لا يمكن ترسيخه إلا في إطار نظرة شاملة للعلاقات التي تجمع المغرب مع تلك الدول سياسياً واقتصادياً وثقافياً وروحياً؛ وذلك لتوفير التربة الخصبة لهذه التجربة المغربية في مجال الأمن الروحي لكي تنجح وتحقق المراد في أفريقيا جنوب الصحراء؛

6- إن مفهوم الأمن الروحي الذي يريد المغرب أن ينقله إلى دول أفريقيا جنوب الصحراء لا يخلو من صعوبات وتحديات، إما من قبل جهات معادية لقيم التسامح والوسطية والاعتدال، أو من قبل أطراف تريد أن تُبقي على أفريقيا مجالاً حيويًا لها، وتفرض عليها منطق الاستغلال والتبعية، وترفض أن تجعل منها شريكاً حقيقياً في التطور والتنمية.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- بلاغ وزارة الخارجية المغربية بخصوص قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران صدر يوم 2009/3/7.
- حمينات (سليم)، "تصدير" الأمن الروحي "كألية استراتيجية لدعم التمدد المغربي في إفريقيا"، مقال منشور في موقع www.mipa.institute بتاريخ 12 مارس 2018، حمل وبوشر بتاريخ، 2019/8/15.
- الخطاب الملكي الذي ألقاه جلالة الملك محمد السادس بمناسبة إعادة هيكلة الحقل الديني، بمدينة الدار البيضاء يوم 10 ربيع الأول 1425هـ/ الموافق لـ 30 أبريل 2004.
- الخطاب الملكي الذي ألقاه جلالة الملك محمد السادس في تطوان يوم 20 غشت 2017 بمناسبة الذكرى الرابعة والستين لثورة الملك والشعب.
- الخطاب الملكي الذي وجهه جلالة الملك محمد السادس إلى القمة 29 لقادة دول وحكومات الاتحاد الإفريقي، التي افتتحت يوم الاثنين 03 يوليوز 2017 بأديس أبابا.
- ريفتي (عبد الوهاب)، "إصلاح الدين رؤية ملك"، مقال في مجلة زمان المغرب كما كان، العدد 70-71، غشت شتنبر 2019.
- سيده (ابن) المرسي (أبو الحسن علي بن إسماعيل) [المعروف بابن سيده] (ت. 458 هـ)، المُحكّم والمحيط الأعظم، 11 جزءاً، [تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي]، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت: ط. 1، 1421هـ/2000م.
- الظهير الشريف رقم 1-15-75 الصادر في 24 يونيو 2015 في شأن تأسيس "مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة"، والذي نشر في الجريدة الرسمية، عدد 6372، 25 يونيو 2015.
- الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، [ت. 170 هـ]، كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، 4 أجزاء، [ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي]، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت: ط. 1، 1424هـ/2003م.
- مصلوحي (نور الدين)، "الأمن الروحي في التشريع المغربي"، مقال منشور بتاريخ 29 أكتوبر 2018 في موقع مغرب القانون www.maroclaw.com حمل وبوشر بتاريخ 2019/8/10.
- منظور (ابن) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (ت. 711هـ)، لسان العرب، [تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي]، دار المعارف، القاهرة: [د.ت.].